موجز في تفسير
سورة المُجادِلة

سليمان بيضون

*** السُّورة الثامنة والخمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد «المنافقون».**
*** سُمِّيتْ بـ «المجادلة»، لقوله، عزّ وجلّ، في الآية الأولى منها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ..﴾.**
*** آياتُها اثنتان وعشرون، وهي مدنيّة، مَن قرأها كُتب من حزب الله في يوم القيامة، ومَن أدام قراءتَها في فرائضه، لا يرى في نفسه ولا في أهله سوءاً أبداً، كما في الحديث الشّريف.**
في ما يلي، موجز في تفسير السّورة المباركة اخترناه من تفاسير: (الميزان) للعلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، و(الأمثل) للمرجع الدّينيّ الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، و(نور الثّقلين) للشّيخ عبد عليّ الحويزيّ.

رُوي في سبب نزول الآيات الأولى من سورة المجادلة أنّ امرأةً جاءت إلى النّبيّ ﷺ تشكو إليه زوجَها الذي قال لها في ساعة غضب: «أنتِ عَلَيَّ كظَهر أُمّي»، وهي صيغةٌ من الطّلاق كان عند عرب الجاهليّة. عندها نزلت هذه الآيات (١ إلى ٤) تبيّن حرمةَ هذا القول من الرّجل لامرأته، وبطلانَ هذا النّوع من الطّلاق – وهو الظِّهار – ولزوم الكفّارة على من يُوقِعه قبل أن تحلّ له زوجتُه من جديد.

مضامين سورة المجادلة

«**تفسير الميزان**»: تتعرّض السّورة لِمعانٍ متنوّعة: من أحكام وآداب وصفات: فشطرٌ منها في حُكم الظِّهار، والنّجوى، وأدب الجلوس في المجالس.

وشطرٌ منها يصِفُ حال الذين يُحادّون الله ورسولَه، والذين يوادّون أعداء الدّين، ويَصِفُ الذين يتحرّزون من موادّتهم من المؤمنين، ويعِدُهم وعداً جميلاً في الدّنيا والآخرة.

***

«**تفسير الأمثل**»: نزلت هذه السّورة في المدينة، وانسجاماً مع موضوعات السّوَر المدنيّة فإنّها تتحدّث في الغالب عن الأحكام الفقهيّة، ونظام الحياة الاجتماعيّة، والعلاقات بين المسلمين وغيرهم، ونستطيع أن نلخّص أهمّ أبحاثها في ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: يتحدّث عن حكم (الظِّهار)، الذي كان يُعدّ نوعاً من الطّلاق والانفصال الدّائم، حيث قوّمه الإسلام، وجعله في الطّريق الصّحيح.

القسم الثّاني: يتحدّث عن مجموعة من التّعليمات الخاصّة بآداب المُجالسة، والتي منها: «التّفسُّح» في المجالس، ومَنع النّجوى.

القسم الثّالث: يتعرّض إلى بحثٍ وافٍ ومفصّل حول المُنافقين، تلك الفئة التي تتظاهر بالإسلام، إلّا أنّها تتعاون مع أعدائه، ويحذّر المؤمنين من الدّخول في حزب الشّيطان والنّفاق، ويدعوهم إلى الحبّ في الله والبغض في الله، والالتحاق بحزب الله.

ثواب تلاوتها

نُقلت روايتان في فضيلة تلاوة سورة المجادلة:

الأولى في (تفسير مجمع البيان) للطبَرسيّ، عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ المُجادِلَةِ كُتِبَ مِنْ حِزْبِ اللهِ في يَوْمِ القِيامَةِ**».

والرّواية الثّانية في (ثواب الأعمال) للشّيخ الصّدوق، عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ الحَديدِ وَالمُجادِلَةِ في صَلاةٍ فَريضَةٍ وَأَدْمَنها، لَمْ يُعَذِّبْهُ اللهُ حَتّى يَموتَ أَبَداً، وَلا يَرى في نَفْسِهِ وَلا في أَهْلِهِ سُوءاً أَبَداً، وَلا خَصاصَةً في بَدَنِهِ**».

تفسير آيات من سورة المجادلة

قوله تعالى: ﴿.. مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ..﴾ الآية:٧.

* عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير «المَعيّة» المذكورة في الآية: «.. **إِنَّما أَرادَ بِذَلِكَ اسْتيلاءَ أُمَنائِهِ بِالقُدْرَةِ الّتي رَكّبَها فيهِمْ عَلى جَميعِ خَلْقِهِ، وَأَنَّ فِعْلَهُمْ فِعْلُهُ**».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «هُوَ واحِدٌ أَحَدِيُّ الذّاتِ، بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَبِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ؛ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطٌ، بِالإِشْرافِ وَالإِحاطَةِ وَالقُدْرَةِ، لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ وَلا في الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ، بِالإِحاطَةِ وَالعِلْمِ لا بِالذّاتِ، لِأَنَّ الأَماكِنَ مَحْدودَةٌ تَحْويها حُدودٌ أَرْبَعَةٌ، فَإِذا كانَ بِالذّاتِ لَزِمَهُ الحواية».

قوله تعالى: ﴿۞إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ..﴾ الآية:١٠.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَناجَ اثْنانِ دونَ صاحِبِهِما، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ».

قوله تعالى: ﴿..يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ..﴾ الآية:١١.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «فَضْلُ العالِمِ عَلى الشَّهيدِ دَرَجَة، وَفَضْلُ الشَّهيدِ عَلى العابِدِ دَرَجَة، وَفَضْلُ النَّبِيِّ عَلى العالِمِ دَرَجَة، وَفَضْلُ القُرْآنِ عَلى سائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلى سائِرِ خَلْقِهِ، وَفَضْلُ العالِمِ عَلى سائِرِ النّاسِ كَفَضْلي عَلى أَدْناهُمْ».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ..﴾ الآية:١٢.

أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ في كِتابِ اللهِ لَآيَةً ما عَمِلَ بِها أَحَدٌ قَبْلي وَلا يَعْمَلُ بِها أَحَدٌ بَعْدي، آيَةَ النَّجْوى، إِنَّهُ كانَ لي دينارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشَرَةِ دَراهِمَ، فَجَعَلْتُ أُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَجْوى أُناجيها النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، دِرْهَماً..».

قوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ..﴾ الآية:١٩.

أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبة له: «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ الله، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْه أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنى».

قوله تعالى: ﴿۞لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ..﴾ الآية:٢٢.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «.. أَلا إِنَّ أَعْداءَ عَلِيٍّ هُمْ أَهْلُ الشِّقاقِ والنِّفاقِ، والحادّون، وهُمُ العادونَ وَإِخوانُ الشَّياطينِ الّذينَ يُوحي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً. أَلا إِنَّ أَوْلِياءَهُمُ الّذينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ في كِتابِهِ، فَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ..﴾».

قوله تعالى: ﴿..أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ..﴾ الآية:٢٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «ما مِنْ مُؤْمِنٍ إِلّا وَلِقَلْبِه أُذُنانِ في جَوْفِهِ: أُذُنٌ يَنْفُثُ فيهِ الوَسْواسُ الخَنّاسُ، وَأُذُنٌ يَنْفُثُ فيها المَلَكُ، فَيُؤَيِّدُ اللهُ المُؤْمِنَ بِالمَلَكِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿..وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ..﴾».

* الإمام الكاظم عليه السلام: «إِنَّ اللهَ، تَبارَكَ وَتَعالى، أَيَّدَ المُؤْمِنَ بِرُوحٍ مِنْهُ، تَحْضُرُهُ في كُلِّ وَقْتٍ يُحْسِنُ فيهِ وَيَتَّقي، وَتَغيبُ عَنْهُ في كُلِّ وَقْتٍ يُذْنِبُ فيهِ وَيَعْتَدي، فَهِيَ مَعَهُ تَهْتَزُّ سُروراً عِنْدَ إِحْسانِهِ، وَتَسيخُ في الثَّرى عِنْدَ إِساءَتِهِ، فَتَعاهَدوا عِبادَ اللهِ نِعَمَهُ بِإِصْلاحِكُمْ أَنْفُسَكُمْ تَزْدادوا يَقيناً، وَتَرْبَحوا نَفيساً ثَميناً، رَحِمَ اللهُ امْرَءاً هَمَّ بِخَيْرٍ فَعَمِلَهُ، أَوْ هَمَّ بِشَرٍّ فَارْتَدَعَ عَنْهُ..».

* الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «إِنَّ ابْني هُوَ القائِمُ مِنْ بَعْدي، وَهُوَ الّذي يَخْرُجُ في سِيَرِ الأَنْبِياءِ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ، بِالتَّعْميرِ وَالغَيْبَةِ، تَقْسو القُلوبُ بِطولِ الأَمَدِ فَلا يَثْبُتُ عَلَى القَوْلِ بِهِ إِلّا مَنْ كَتَبَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ في قَلْبِهِ الإيمانَ وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ».

عن الإمام الصّادق عليه السلام:

«مَنْ قَرَأَ سورَةَ الحَديدِ وَالمُجادِلَةِ في صَلاةٍ فَريضَةٍ وَأَدْمَنَها، لَمْ يُعَذِّبْهُ اللهُ حَتّى يَموتَ أَبَداً، وَلا يَرى في نَفْسِهِ وَلا في أَهْلِهِ سُوءاً أَبَداً، وَلا خَصاصَةً في بَدَنِهِ».

الأسوة الحسنة في الكتاب الإلهي

من هم المتأسّون الحقيقيّون وكيف يَصلون؟

المرجع الدّينيّ الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ

الأسوة مفهوم قرآني دعا الحقّ تعالى النّاس من خلاله إلى الاقتداء برسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله، والتّأسّي به واتّباع سنّته. وقد بيّنَ عزّ اسمُه أنّ الأسوة الحسنة لا تحقّ إلا لمَن كان يرجو الله واليومَ الآخر وذكرَ الله كثيراً، كما ورد في الآية الكريمة من سورة الأحزاب.

في ما يلي مقالة تفسيرية للمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وبيان لمعنى ومقاصد الأسوة الحسنة.

«شعائر»

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ الأحزاب:٢١-٢٥.

***

«**الأسوة**» تعني في الأصل الحالة التي يتلبّسها الإنسان لدى اتّباعه لآخر، وبتعبير: هي التأسّي والاقتداء، وبناءً على هذا فإنّ لها معنى المصدر لا الصّفة، ومعنى آية: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ هو: أنّ لكم في النّبيّ صلّى الله عليه وآله تأسيًّا واقتداء جيّداً، فإنّكم تستطيعون بالاقتداء به واتّباعه أن تُصلحوا أموركم وتسيروا على الصّراط المستقيم.

والطّريف أنّ القرآن الكريم يعتبر هذه الأسوة الحسنة في الآية أعلاه مختصّة بمَن لهم ثلاث خصائص: الثّقة بالله، والإيمان بالمعاد، وأنّهم يذكرون الله كثيراً. إنّ الإيمان بالمبدأ والمعاد هو سببُ وباعث هذه الحركة في الحقيقة، وذِكرُ الله تعالى يعمل على استمراره، إذ لا شكّ أنّ مَن لم يمتلئ قلبه بهكذا إيمان لا يقدر أن يضع قدمه موضع قدم النّبيّ، وإذا لم يُدِمْ ذكرَ الله ويعمر قلبه به أثناء استمراره في هذا الطّريق، ويُبعد الشياطين عنه، فسوف لا يكون قادراً على إدامة التّأسّي والاقتداء.

بعد ذكر هذه المقدّمة تطرّقت الآية التّالية إلى بيان حال المؤمنين الحقيقيّين، فقالت: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾. ولكن ما هذا الوعد الذي كان الله ورسوله قد وعدَهم به؟

قال البعض: إنّه إشارة إلى الكلام الذي كان رسول الله قد تكلّم به من قبلُ بأنّ قبائل العرب ومختلِف أعدائكم سيتّحِدون ضدّكم قريباً ويأتون إليكم، لكن اعلموا أنّ النصر سيكون حليفَكم في النّهاية، فلمّا رأى المؤمنون هجوم الأحزاب أيقنوا أنّ هذا ما وعدهم به رسول الله، صلّى الله عليه وآله، وقالوا: ما دام الجزء الأوّل من الوعد قد تحقّق، فمن المسلّم أنّ جزأه الثّاني - أي النّصر - سيتحقّق بعده، ولذلك زاد إيمانُهم وتسليمُهم.

وقال البعض الآخر: إنّ هذا الوعد هو ما ذكره الله سبحانه في الآية ٢١٤ من سورة البقرة حيث قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ..﴾. أي إنّهم قيل لهم من قبل: إنّكم ستخضعون لامتحان عسير، فلمّا رأوا الأحزاب تيقّنوا صدقَ إخبار الله ورسوله، وزاد إيمانهم وتسليمهم. ومن الطّبيعي أنّ هذين

التّفسيرين لا يتنافيان، خاصّة بملاحظة أنّ أحد الوعدَين كان في الأساس وعدَ الله، والآخر وعد الرّسول، صلّى الله عليه وآله، وقد جاءا معاً في الآية مورد البحث، ويبدو أنّ الجمع بينهما مناسب تماماً.

المتأسّون الحقيقيّون

وتشير الآية التّالية (٢٣) إلى فئة خاصّة من المؤمنين، وهم الذين كانوا أكثر تأسّياً بالنّبيّ، صلّى الله عليه وآله، من الجميع، وثبتوا على عهدهم الذي عاهدوا الله به، وهو التّضحية في سبيل دينه حتّى النَّفَس الأخير، وإلى آخر قطرة دم، فتقول: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ..﴾، من دون أن يتزلزل أو ينحرف ويبدّل العهد ويغيّر الميثاق الذي قطعه على نفسه ﴿..وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾. إنّهم لم ينحرفوا قيد أنملة عن خطّهم، ولم يألوا جهداً في سبيل الله، ولم يتزلزلوا لحظة، بعكس المنافقين أو ضعاف الإيمان الذين بعثرتْهم عاصفة الحوادث هنا وهناك، وأفرزت الشّدائد في أدمغتهم الخاوية أفكاراً جوفاء خبيثة.

إنّ لفظة «نَحْب» على زنة «عهد» تعني العهد والنّذر والميثاق، ووردت أحياناً بمعنى الموت، أو الخطر، أو سرعة السّير، أو البكاء بصوت مرتفع. وهناك اختلاف بين المفسّرين في المعنيّ بهذه الآية. يروي العالم المعروف (الحاكم، أبو القاسم الحسكاني) - وهو من علماء السنّة - بسندٍ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «**فينا نزلتْ** ﴿.. رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ..﴾، **فأنا - والله - المنتظِر وما بدّلتُ تبديلاً**»، (ومنّا رجال قد استُشهدوا من قبلُ كحمزةَ سيّد الشّهداء).

وقال آخرون: إنّ جملة ﴿..مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ..﴾ إشارةٌ إلى شهداء بدر وأُحُد، وجملة: ﴿..وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ..﴾ إشارة إلى المسلمين الصّادقين الآخرين الذين كانوا بانتظار إحدى الحُسنيَين: النّصر، أو الشّهادة. "..."

ورُوي عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ جملة: ﴿..فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ..﴾ إشارة إلى حمزة بن عبد المطّلب وباقي شهداء أُحد... ولا منافاة بين هذه التّفاسير مطلقاً، لأنّ للآية مفهوماً واسعاً يشمل كلّ شهداء الإسلام الذين استُشهدوا قبل معركة الأحزاب، وكلّ من كان منتظراً للنّصر أو الشّهادة، وكان على رأسهم رجال كحمزة سيّد الشّهداء وعليّ عليهما السلام، ولذلك ورد في (تفسير الصّافي): أنّ أصحاب الحسين بكربلاء كانوا كلّ مَن أراد الخروج للقتال ودّع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله. فيجيبه: «**وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَنَحْنُ خَلْفَكَ**»، ويقرأ: ﴿..فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ..﴾.

ويستفاد من كُتُب المقاتل أنّ الإمام الحسين عليه السلام تلا هذه الآية عند أجساد شهداء آخرين كمسلم بن عوسجة، وحين بلغه خبر شهادة عبد الله بن يقطر.

ومن هنا يتّضح أنّ للآية مفهوماً واسعاً يشمل كلّ المؤمنين المخلصين الصّادقين في كلّ عصر وزمان، سواء من ارتدى منهم ثوب الشّهادة في سبيل الله، أم من ثبت على عهده مع ربّه ولم يتزعزع، وكان مستعدّاً للجهاد والشّهادة.

وتُبيّن الآية التّالية النّتيجة النّهائية لأعمال المؤمنين والمنافقين في جملة قصيرة، فتقول: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ..﴾، فلا يبقى صدق وإخلاص ووفاء المؤمنين بدون ثواب، ولا ضعف وإعاقات المنافقين بدون عقاب. ومع ذلك، ولكي لا يغلق طريق العودة والإنابة بوجه هؤلاء المنافقين العنودين، فإنّ الله سبحانه قد فتح أبواب التّوبة

■ **من شروط التّأسّي والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله، إدامةُ ذِكر الله تعالى وإعمارُ القلب به.**

كمالُ الاقتداء بالنَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو الصّدق والوفاء بعهود الله تعالى، والثَّبات عليها.

آية ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ تشمل المؤمنين المخلصين في كلّ زمان، ومن أبرز مصاديقها شهداء كربلاء.

أمامهم بجملة: ﴿..أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ..﴾ - إذا تابوا - ووصف نفسه بالغفور والرّحيم: ﴿..إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ليُحيي فيهم الحركة نحو الإيمان، والصّدق، والإخلاص، والوفاء بالتزاماتهم أمام الله، والعمل بمقتضاها.

ولمّا كانت هذه الجملة قد ذُكرت كنتيجة لأعمال المنافقين القبيحة، فإنّ بعض كبار المفسّرين رأى على أساسها بأنّ الذّنب الكبير في القلوب التي لها قابلية الهداية ربّما كان دفعاً للحركة المضادّة والرّجوع إلى الحقّ والحقيقة، وقد يكون الشّرّ مفتاحاً للخير والرّشاد.

خاتمة البحث

وتطرح الآية الأخيرة من هذه الآيات - التي تتحدّث عن غزوة الأحزاب - خلاصةً واضحة لهذه الواقعة في عبارة مختصرة، فتقول في الجملة الأولى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا..﴾.

الغيظ يعني (الغضب) ويأتي أحياناً بمعنى (الغمّ)، وهنا جاء مزيجاً من المعنيَين، فإنّ جيوش الأحزاب قد بذلت قصارى جهدها للانتصار على جيش الإسلام، لكنّها خابت، ورجع جنود الكفر إلى أوطانهم يعلوهم الغمّ والغضب.

والمراد من «الخير» - هنا - الانتصار في الحرب، ولم يكن انتصار جيش الكفر خيراً أبداً، بل إنّه شرّ، ولمّا كان القرآن يتحدّث من وجهة نظرهم الفكريّة عبّر عنه بـ «الخير»، وهو إشارة إلى أنّهم لم ينالوا أيّ نصر في هذا المجال.

وقال البعض: إنّ المراد من «الخير» هنا (المال)، لأنّ هذه الكلمة أُطلقت في مواضع أخرى بهذا المعنى، ومن جملتها ما في آية الوصية الـ ١٨٠ من سورة البقرة: ﴿..إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ..﴾. لكن ومع أنّ أحد الأهداف الأصليّة لمعسكر الكفر كان الحصول على غنائم المدينة والإغارة على هذه الأرض، وهذا الباعث كان أهمّ البواعث في عصر الجاهلية، إلا أننا لا نمتلك الدليل على حصر معنى (الخير) هنا بالمال، فهو يشمل كلّ الانتصارات التي كانوا يطمحون إليها، وكان المال أحدَها، وقد حُرموا من الجميع.

وتضيف الآية في الجملة التّالية: ﴿..وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ..﴾ فقد هيّأ عواملَ بحيث انتهت الحرب من دون حاجة إلى التحام واسع بين الجيشَين، ومن دون أن يتحمّل المؤمنون خسائر فادحة، لأنّ العواصف الهوجاء القارصة قد مزّقت أوضاع المشركين من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الله تعالى قد ألقى الرّعب والخوف في قلوبهم من جنود الله التي لا تُرى، ومن جهة ثالثة فإنّ الضّربة التي أنزلها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأكبر بطل من أبطالهم، وهو «عمرو بن عبد ودّ»، قد تسبّبت في تبدّد أحلامهم وآمالهم، ودفعتهم إلى أن يُلملموا أمتعتَهم ويتركوا محاصرة المدينة، ويرجعوا إلى قبائلهم تَقدُمُهم الخيبة والخسران.

وتقول الآية في آخر جملة: ﴿..وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، فمن الممكن أن يوجد أناس أقوياء، لكنّهم ليسوا بأعزّاء لا يُقهرون، بل هناك من يقهرُهم ومن هو أقوى منهم، إلّا أنّ القوي العزيز الوحيد في الوجود هو الله عزّ وجلّ الذي لا حدّ لقدرته وقوّته ولا انتهاء، فهو الذي أنزل على المؤمنين النّصر في مثل هذا الموقف العسير والخطير جدّاً بحيث لم يحتاجوا حتّى إلى النّزال وتقديم التّضحيات!